

تفسير السعدي

@ 432 @ عذابي هو العذاب الأليم) ^ يقول تعالى : ^ (إن المتقين) ^ الذين اتقوا طاعة الشيطان ، وما يدعوهم إليه ، من جميع الذنوب والعصيان ^ (في جنات وعيون) ^ قد احتوت على جميع الأشجار ، وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة ، في جميع الأوقات . ويقال لهم حال دخولها : ^ (ادخلوها بسلام آمنين) ^ من الموت ، والنوم والنصب ، واللغوب ، وانقطاع شيء من النعيم ، الذي هم فيه أو نقصانه ، ومن المرض ، والحزن ، والهم ، وسائر المكدرات ، ^ (ونزرنا ما في صدورهم من غل) ^ فتبقى قلوبهم سالمة ، من كل غل وحسد ، متصافية متحابة ^ (إخوانا على سرر متقابلين) ^ . دل ذلك على تزاورهم ، واجتماعهم ، وحسن أدبهم فيما بينهم ، في كون كل منهم مقابلا للآخر ، لا مستديرا له ، متكئين على تلك السرر المزينة ، بالفرش واللؤلؤ ، وأنواع الجواهر . ^ (لا يمسه فيها نصب) ^ لا ظاهر ولا باطن ، وذلك لأن الله ينشئهم نشأة وحياة كاملة ، لا تقبل شيئا من الآفات ، ^ (وما هم منها بمخرجين) ^ على سائر الأوقات . ولما ذكر ما يوجب الرغبة والرغبة ، من مفعولات الله ، من الجنة ، والنار ، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال : ^ (نبدء عبادي) ^ أي : أخبرهم خبرا جازما ، مؤيدا بالأدلة ، ^ (إني أنا الغفور الرحيم) ^ فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته ومغفرته ، سعوا بالأسباب الموصلة لهم إلى رحمته ، وأقلعوا عن الذنوب ، وتابوا منها ، لينالوا مغفرته . ومع هذا ، فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال ، فنبتهم ^ (أن عذابي هو العذاب الأليم) ^ أي : لا عذاب في الحقيقة ، إلا عذاب الله ، الذي لا يقدر قدره ، ولا يبلغ كنهه ، نعوذ به من عذابه ، فإنهم إذا عرفوا أنه ^ (لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد) ^ حذروا ، وبعدوا عن كل سبب يوجب لهم العقاب ، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائما ، بين الخوف والرجاء ، والرغبة والرغبة ، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته ، وجوده وإحسانه ، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة ، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه ، أحدث له الخوف والرغبة والإقلاع عنها . ^ (ونبتهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون * قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم * قال أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) ^ يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ^ (ونبتهم عن ضيف إبراهيم) ^ ، أي : عن تلك القصة العجيبة ، فإن في قصك عليهم أنباء الرسل ، وما جرى لهم ، ما يوجب لهم العبرة ، والاعتداء بهم ، خصوصا ، إبراهيم الخليل ، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته ، وضيغه هم : الملائكة الكرام ، أكرمهم

ا^ا بأن جعلهم أضيافه . ا^ا (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) ا^ا أي : سلموا عليه ، فرد عليهم ا^ا (قال : إنا منكم وجلون) ا^ا أي : خائفون ، لأنه لما دخلوا عليه ، وحسبهم ضيوفا ، ذهب مسرعا إلى بيته ، فأحضر لهم ضيافتهم ، عجلا حنيذا فقدمه إليهم ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ، خاف منهم أن يكونوا لصوصا أو نحوهم . ا^ا (قالوا) ! 2 2 ! (لا توجل إنا نبشرك بـغلام عليم) ا^ا وهو : إسحق عليه الصلاة والسلام ، تضمنت هذه البشارة ، بأنه ذكر لا أنثى ، عليم ، أي : كثير العلم ، وفي الآية الأخرى ا^ا (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) ا^ا . قال لهم متعجبا من هذه البشارة : ا^ا (أبشرتموني) ا^ا بالولد ا^ا (على أن مسني الكبير) ا^ا وصار نوع إياس منه ا^ا (فبم تبشرون) ا^ا أي : على أي وجه تبشرون وقد عدت الأسباب ؟ ا^ا (قالوا بشركناك بالحق) ا^ا الذي لا شك فيه ، لأن ا^ا على كل شيء قدير ، وأنتم بالخصوص يا أهل هذا البيت رحمة ا^ا وبركاته عليكم ، فلا يستغرب فضل ا^ا وإحسانه إليكم . ا^ا (فلا تكن من القانطين) ا^ا الذين يستبعدون وجود الخير ، بل لا تزال راجيا لفضل ا^ا وإحسانه ، وبره وامتنانه ، فأجابهم إبراهيم بقوله : ا^ا (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) ا^ا الذين لا علم لهم بربهم ، وكمال اقتداره ، وأما من أنعم ا^ا عليه بالهداية والعلم العظيم ، فلا سبيل إلى القنوط إليه ، لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق ، لرحمة ا^ا ، شيئا كثيرا ، ثم لما بشروه بهذه البشارة ، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم . ا^ا (قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين * إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين * فلما جاء آل لوط المرسلون * قال إنكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون * وآتيناك بالحق وإنا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم